1.4 - مظاهر التجريبية في مقاربات التراث التي تنتسب صراحة إلى الاتجاه التاريخي المقارن : إبراهيم أنيس نموذجا

يمثل هذا الاتجاه في البحث أقدم وجه من وجوه اللسانيات وأسبقها وهو المجال الذي يعدّه كثير من المؤرخين البداية العلميّة للدراسة اللّغوية. وضمنه سجّلت أهم نجاحات الاتجاه التاريخي والمقارن في القرن 19. وقد اتّضحت أسسه ومعالمه مع نهاية القرن التاسع عشر وغزا التدريس الجامعي. ولذلك أمكن انتقال أهمّ فرضياته ومكوّنات منهجه إلى العالم العربي في صورة تسمح بتمثّله والاستفادة منه.

فقد اتخذ هذا المنهج الألسنة الساميّة موضوعا له ودرسها وأوضح الكثير من خصائصها وأفادت العربيّة من ذلك أيّما إفادة [1] وقد عرف العالم العربي خصائص المنهج المقارن في رحاب الجامعة المصريّة ثم اكتشفه بعض الطلبة الذين درسوا في الجامعات الأروبيّة. ولذلك لا غرابة أن يكون أوّل اللّغويين العرب الذين نقدوا التراث النحوي وانتسبوا صراحة إلى علم اللسانيات من أصحاب الاتجاه التّاريخيّ المقارن.

وقد اخترنا ممثّلا لهذا الاتجاه إبراهيم أنيس بالاعتماد على كتابه «من أسراراللغّة». عرف إبراهيم أنيس اللسانيات في الغرب وغدت عنده أفقا علميّا رحبا غيّر نظرته إلى كثير من القضايا اللّغوية واتّخذه مسبارا يعيد على ضوئه تقييم ما قرأ عن القدماء في مواضيع اللّغة، وأساسا ومعيارا يصنّف بمقتضاه الباحثين حسب إلمامهم أو عدم إلمامهم به [2].

1.1.4 - فضل إبراهيم أنيس

لقد كان فضل ابراهيم أنيس هامّا وكبيرا على الدراسة اللّغوية العربية وأهمّ ما نذكره له أنّ أدخل التراث النحوي في جدل مع علم اللسانيات وأنّه رسّخ الاعتقاد بأن اللغوي العربي لا يمكن أن يقتصر في

1 برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربية ص 8. وهو يلحّ على تقديم أمثلة من العربية حتّى يتمثل الطلبة العرب المنهج التاريخي تمثلا حسنا.

2 انظر مقدمة من أسرار اللغة ص 4.